بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 2/9/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (20)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في تفسير آية من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: 55].

وما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان بالله تعالى بعد أن رأوا الآيات الواضحات والأدلة والبينات على وحدانية الله وعلى أن صراط الله تعالى هو الصراط المستقيم إلا أنهم طلبوا أحد أمرين:

1- طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب كما جاء على الأمم من قبلهم.

2- طلبوا أن يأتي يوم القيامة للوقوف بين يدي الله.

حتى لا يكون المرء يعمل عمل المشركين ويفكر تفكيرهم، بحيث لا يؤمن بعقاب الله حتى يراه، ولا يؤمن بعذاب الله حتى يعاينه، ولا يمتنع عن شروره حتى تنزل به وبمن حوله؛ يطلب منا المبادرة بالأعمال الصالحات.

النفس لا تحب عمل الخير ولا تحب المضي بالصراط المستقيم بل تحب الشرود واتباع الهوى، ويعززها ويعاونها الشيطان وهوى النفس وأصحاب السوء الذين يجعلون الحق باطلاً والباطل حقاً ولا يرضيهم أن تمشي بالطريق المستقيم بل أن تقول كما يقول المشركون، فتراه يقول: ها أنا ذا أخطئ وأجرم وأسيء مع أنني أعيش بسرور وضحك ولعب وفرح وكل من حولي يثني علي بل إن من يذهب إلى بيت الله، والذين انضبطوا بالشرع هم الخاسرون والمتراجعون والمستهزأ بهم.

أحياناً إذا دعي شاب إلى طريق الخير فسيقول: وماذا ينوبنا من ذلك غير التقييد والمنع والحظر فلنذهب لنعش كما نريد من ضحك ولعب وأكل وشرب ومخالطة من نشاء ولا نأبه لحق أو لباطل، لظلم أو لعدم ظلم ففي واقعنا الذي نعيش فيه إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب، صاحب الحنكة هو من ينهش من الآخرين ويحقق مصالحه على رؤوس وأعناق الناس.

هذه الفلسفة هي نفسها فلسفة المشركين وما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان إلا طلبهم أحد هذين الأمرين.

حتى لا يقع أحدنا في هذا المشى فينبغي عليه أن يفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يكرر عليهم مراراً قوله: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْظُرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**» [الترمذي عن أبي هريرة].

بَادِرُوا: من يملك وقتاً ولم يمت فبادر إلى فعل الصالحات قبل أن يأتي أحد هؤلاء السبعة.

كان لشيخ عليه رحمة الله كرسي للتدريس له ثلاث درجات، ثم تقدم به السن حتى لم يعد يستطع أن يرفع قدمه ثلاث مرات متتاليات، فصنع له رافعة لترفعه على هذه الدرجات الثلاث.

أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ: من نجا مما سبق فلن ينجو من الموت إطلاقاً فلا تدري متى يكون وقتك لتذهب ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: 99-100].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**» [مسلم].

خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ: أي أن يموت أحدكم.

أَمْرَ الْعَامَّةِ: أي أن تقوم قيامة العامة.

قيل لجحا: متى القيامة يا جحا؟ فقال: أتريدون القيامة الصغرى أم الكبرى؟ فقالوا وما هاتان؟! قال: القيامة الصغرى إذا قامت قيامة كل الناس، وأما القيامة الكبرى فعند موت جحا.

بالنسبة لي قيامتي الكبرى هي عند موتي فعلاً.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ» [الديلمي].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» [مسلم].

فلسفة المشركين أنهم لا يريدون عمل الخير ويسعون للبقاء على ضلالهم وإذا ما حدثتهم بالإنصاف والحق لم يصدقوا حتى ينزل ما يوعدون به أو تقوم القيامة للوقوف بين يدي الله تعالى.

أما المؤمنون فما يحدوهم ويقودهم فهو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبادروا في الأعمال الصالحة مصدقين بالله تعالى وبكلامه ومؤمنين به ومصدقين بكلام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مرددين في كل يوم رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ .

قال المفسرون: للهدى ثلاثة معان:

1- القرآن الكريم.
2- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
3- الإسلام.

أما وقد جاءك القرآن وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجاءتك تعاليم الإسلام نقية صحيحة فبادر بالأعمال الخيرة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.